[183] ويختاره على ذلك العز لعمله بأن في هذه الرفعة مفاسد غير محصورة، وأنها رفعة دنيوية وذلك الذل رفعة أخروية، والرفعة الدنيوية مثل الدنيا داثرة داحضة، بخلاف الرفعة الاخروية، فإنها باقية أبدا. (والتواضع أحب إليه من الشرف) التواضع التذلل من الوضع وهو خلاف الرفع. والشرف الترفع بالنسب أو بالحسب، والمعنى أن العاقل هو الذي يؤثر التواضع على الشرف والرفعة (1) لأنه لما عرف عظمة ا ونظر إلى جلال قدره وكمال قدرته على جميع المقدورات وشدة استيلائه على جميع الممكنات بالايجاد والافناء وغاص في بحار وجوده وكماله وقدرته وتفكر في قهره ومنعه وجوده احتقر نفسه ووجوده وكماله وقدرته بل لا يرى لنفسه وجودا وكمالا وقدرة، وإنما يرى هذه الامور الجاهل الذي لم يخطر بباله ذات الباري وصفاته فيرى لنفسه وجودا ولوجوده آثارا نظير ذلك أن من لم يرماء أبدا ثم رأى جدولا صغيرا فإنه يستعظمه فإذا وقف هناك بقي له ذلك الاستعظام، وأما إذا جاوزه ورأى نهرا عظيما فإنه يزول عنه ذلك الاستعظام ويستعظم هذا النهر ثم إذا جاوزه ورأى بحرا زاخرا زال عنه استعظام ما سواه قطعا. وإلى ما ذكرنا أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: " إنه لا ينبغي لمن عرف عظمة ا أن يتعظم " (2) فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له في هذا التعليل إشارة إلى أن التواضع له سبحانه عين الرفعة وذلك لأن ا سبحانه هو العظيم المطلق وكل عظمة ورفعة فمستفاده من وجوده والقرب منه فكما كانت العادة جارية من الملوك في حق من يتواضع لهم ويوفيهم حقهم من الاجلال والاكرام وحسن الانقياد أن يرفعوه ويعظموه كذلك عادة مالك الملوك جل شأنه، يرشد إلى ذلك رفعة حال الأنبياء والأوصياء والصالحين عليهم صلوات ا أجميعن، ويدل عليه قول الصادق (عليه السلام) " إن في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه " (3) وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) " لا حسب كالتواضع " (4) يعني في إيجاب الرفعة هذا حال التواضع سبحانه وأما التواضع للفقراء والصالحين فمن شعب تواضعه تعالى شأنه لأن من أحب أحدا

_____

1 - الشرف والرفعة معنى جزئي يدركه الوهم ويحبه الإنسان بهذه القوة الخبيثة والعقل لا يصدق بحسن ذلك إلا أن يكون وسيلة إلى دفع ظلم عن مظلوم أو ترويج حق كما قال سليمان (عليه السلام) " رب هب لي ملكا لا ينبغى لاحد من بعدي " أراد ذلك لانفاذ الحق وترويج التوحيد وحينئذ فلا يكون الشرف مطلوبا لذاته بل إذا علم ان مقصوده الديني يحصل بالتواضع والخمول والضعة كان طالبا له دون الشرف وبالجملة فطلب الرفعة من علامات ضعف العقل وغلبة الوهم (ش). 2 - النهج أبواب الخطب تحت

رقم 145 - أوله " فبعث محمد صلى ا عليه وآله بالحق ". 3 - الكافي كتاب الايمان والكفر باب التواضع تحت رقم 2. 4 - النهج أبواب الحكم تحت رقم 113. (*)